

وبهذا العدد الكبير جداً من فصول البديع - مقارنة مع ما جاء تحت مصطلح البديع عند السابقين على أبي هلال - يتسع مفهوم (البديع) عنده، ليشمل ما أورده هؤلاء السابقون، وما أورده سابقون غيرهم، ولكن ليس تحت مصطلح البديع، فضلاً عن اشتغاله على ما قام هو نفسه بتفريعه، وما قام بإضافته؛ مما يدفعنا إلى القول بأن مفهوم (البديع) بدأ يتجه نحو الترادف مع (البلاغة) بمفهومها العام. ويبرر أبو هلال حشده لكل هذه الفصول تحت مصطلح (البديع)، بادعاء أن هناك من يدعى أن هذه الفصول من ابتكار المحدثين، إذ يقول: «فهذه أنواع البديع التي ادعى من لا رواية له، ولا دراية عنده أن المحدثين ابتكروها، وأن القدماء لم يعرفوها؛ وذلك لعماد أن يفخم أمر المحدثين؛ لأن هذا النوع من الكلام إذا سلم من التكلف وبرئ من العيوب، كان في غاية الحسن، ونهاية الجودة». (٣٦)

وهذا الاتساع في مفهوم (البديع) عند العسكري، نجده - أيضاً - عند البساطقاني (ت ٤٠٣هـ) في كتابه (إعجاز القرآن)، حيث عقد فيه فصلاً (في ذكر البديع من الكلام)، سرد في مصطلحات ما يربو على خمسة وعشرين نوعاً بلاغياً مع التمثيل لها (٣٧)، وقد جمعها ممن سبقوه وهاصروه. وبعد هذا السرد نبه إلى أن وجوه البديع أكثر مما ذكر، إذ قال: «ووجوه البديع كثيرة جداً، فالتصريح على ذكر بعضها، ونبهنا بذلك على ما لم نذكر؛ كراهة التطويل، فليس الغرض ذكر جميع أبواب البديع». (٣٨)

وكذلك يستمر هذا الاتساع في مفهوم (البديع) عند ابن رشيق القيرواني (٣٩٠هـ - ٤٥٦هـ) في كتابه (العمدة)، الذي من بين أبوابه (باب المخترع والبديع)، حاول ابن رشيق في مستهله - ضمن ما حاول - أن يفرق بين الاختراع والإبداع أو المخترع والبديع، تفرقة ربما لم تكن في بدايتها غير مميزة بينهما، وإن كان يُفهم في نهايتها اختصاص (البديع) باللفظ، واختصاص (المخترع) بالمعنى، يقول ابن رشيق «والفرق بين الاختراع والإبداع - وإن كان معناهما في العربية واحداً - أن الاختراع: خلق المعاني التي لم يسبق إليها، والإتيان بما لم يكن منها قط، والإبداع إتيان الشاعر بالمعنى المستظرف، والذي لم تجر العادة بمثله، ثم لزمته هذه التسمية؛ حتى قيل له بديع، وإن كثر وتكرر، فصار الاختراع للمعنى، والإبداع للفظ، فإذا تم للشاعر أن يأتي بمعنى مخترع في لفظ بديع، فقد استولى على الأمر، وحاز قصب السبق». (٣٩)

وقبل أن يستعرض ضروب البديع وأنواعه، يذكر - ضمن ما يذكر - المعنى اللغوي لكلمة (بديع)، ويشير إلى كثرة ضروب البديع، وأنه سيذكر - فقط - ما وسعته قدرته، وما وسعته قدرته كان ثلاثة وثلاثين باباً، هي (٣٠):